مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 12 / العـدد: 02 (2024)، ص:1117-1142

الوضع الأصلي كأساس للعدالة في فكر جون رولز

The original situation as a basis for justice in the thought of John Rawls

زو اقة زينب، كيشي أحمد

جامعة الجزائر2 –أبو القاسم سعد الله، (الجزائر). مخبر الانتماء: مخبر مشكلات الحضارة والتاريخ

zaouaga.zeyneb@univ-alger2.dz
zinebzaouaga@gmail.com

جامعة الجزائر2 –أبو القاسم سعد الله، (الجزائر) kechi.ahmed@univ-alger2.dz

Kechi.ahmed@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/02/21 تاريخ القبول:2024/05/14 تاريخ النشر: 2024/06/01

ملخص:

نهدف من خلال هذا المقال إلى تسليط الضوء على فكرة أساسية وموضوع مهم في الفلسفة السياسية وهو تصور العدالة، والذي حاول فيلسوفنا جون رولز أن يبنيه انطلاقا من عنصر جوهري وهو الوضع الأصلي والذي يمكن أن يوصف على أنه حجر الأساس في فلسفته السياسية.

لقد استلهم جون رولز هذا التصور من خلال ما قدمه فلاسفة العقد الاجتماعي خلال العصر الحديث، لذلك كان لابد بداية أن نتناول الموضوع من الناحية التاريخية عن طريق ما جاء في الفلسفات السياسية السابقة حول فكرة الوضع الأصلي وتحديدا ما قال به فلاسفة العقد الاجتماعي. ثم بعد ذلك الحديث عن هذه الفكرة ودورها في تأسيس مبادئ العدالة وذلك وفق مختلف الإجراءات التي اعتمدها رولز انطلاقا من حجاب الجهل، بهدف تطبيق هذه التصورات الجديدة على أرض الواقع وفق معطيات المجتمعات المعاصرة، حيث أن هدف رولز الأساسي كان تحقيق العدالة لكل الشعوب على أسس من العقلانية والحرية.

الكلمات المفتاحية:

العدالة – الوضع الأصلي – العقد الاجتماعي – العقلانية – الحرية – حجاب الجهل.

Abstract :

This article is on an important topic in political philosophy, which is the theory of justice, John Rawls tried to build based on a fundamental element, which is the original situation. He was inspired by this perception

through what was presented by the the social contract philosophers, so it was to begin by dealing with the topic from a historical perspective through what was stated in previous political philosophies about the idea of the original situation, Then, we talk about this idea and its role in establishing the principles of justice, in accordance with the various procedures that Rawls adopted, starting from the veil of ignorance, and applying these new perceptions on the ground in accordance with the data of contemporary societies, Rawls's primary goal was to achieve justice for all peoples on the basis of Rationality and freedom.

key words:
Justice - the original situation - the social contract - rationality - freedom - the veil of ignorance.

الوضع الأصلي كأساس للعدالة في فكر جون رولز

1. مقدمة:

إن فكرة العدالة من أهم الفضائل الأخلاقية التي كانت محل اهتمام ودراسة لدى الفلاسفة، فقد أخذت دوما النصيب الأكبر من الدراسة منذ الفلسفات القديمة وذلك نظرا لأهميتها في بناء المجتمعات وتحقيق الاستقرار فيها.

وعند تتبع التاريخ الفلسفي نجد أن لكل فيلسوف تصور خاص للعدالة وهذا التصور مبني من خلال ما يتبناه من أفكار وما يمثله من فلسفة. وقد امتد هذا الاهتمام إلى الفلسفة المعاصرة فالفيلسوف الأمريكي جون رولز حاول من خلال فلسفته أن يؤسس لنظرية للعدالة حيث أن هذه الأخيرة تُعتبر العمل الأكثر إثارة للفلسفة السياسية في القرن العشرين. فقد عمل على تأسيس مبادئ للعدالة تكون اتفاقية بين جميع الأطراف أي تحقق الانصاف للجميع دون تفرقة وبهذا ينهي الصراع القائم حولها

إن نظرية رولز في العدالة تأسست على العديد من النقاط الجوهرية من بينها فكرة العقد الاجتماعي، فرولز كغيره من الفلاسفة لا يمكن أن يكون منفصلا بأفكاره عن سابقيه، لذلك فقد عمل على الاستفادة مما جاء في هذه النظرية بكل جوانبها من أجل التأسيس للعدالة الحقة.

وهذا يجعلنا أمام العديد من التساؤلات:

ما علاقة نظرية العدالة عند رولز بما جاء في نظريات العقد الاجتماعي بكافة ممثليها؟

وهل كانت فكرة الوضع الأصلي عند رولز متوافقة مع ما جاء به سابقوه؟ وكيف استفاد من هذه الأفكار السياسية؟

يمكن القول أن العلاقة بين فكرة رولز حول العقد ونظريات العقد الاجتماعي تحمل جانبين جانب الاتفاق وجاب الاختلاف والتمايز لكن هذا لا يمنع من وجود اتصال بينهما.

بما أن الفلسفة نسيج متكامل فإن ما جاء به رولز من تصورات جديدة هي ليست منفصلة تماما عما جاء في الفلسفات السياسية السابقة.

ما قدمه رولز في نظرية العدالة يعتبر ثورة في عالم السياسة في القرن العشرين، حيث أنه قدم العديد من التصورات الجديدة التي لم تكن متواجدة من قبل.

إن الهدف من هذه الدراسة هو الوصول إلى العلاقة بين ما جاء به رولز من أفكار حول نظرية العدالة، وبين ما جاء في نظريات العقد الاجتماعي السابقة، وكيف حاول توظيف أفكار هذه النظريات في تأسيسه لمبادئ العدالة الحقة

تم اعتماد المنهج الاستقرائي من خلال استقراء النظريات الفلسفية للعقد الاجتماعي السابقة. إضافة إلى المنهج التحليلي هو المنهج الأساسي في الدراسة حيث أنه يتم التطرق لكل مشكلات الدراسة بالتحليل، خاصة ما يتعلق بالأفكار التي قدمها رولز.

أولا: نظرية العقد الاجتماعي الكلاسيكية:

1. مفهوم العقد الاجتماعي:

يعرفه لالاند «اتفاق قد يلتزم بمقتضاه شخص أو عدة أشخاص بتقديم شيء ما بالقيام أو بعدم القيام بشيء ما» (لالاند، 2001، صفحة 224) فالعقد التزام بين طرفين أو أكثر من أجل موضوع ما قصد تحقيق أهداف مشتركة بينهم.

أما العقد الاجتماعي Contrat Social هو جملة الاتفاقات الأساسية في الحياة الاجتماعية، وبمقتضاها يضع الإنسان نفسه وقواه تحت المجتمع. (مختار، 2008، صفحة 1527)

أما جميل صليبا يعرفه بأنه: «اتفاق افتراضي بين أفراد المجتمع يوجب على كل منهم وهو في حالة الطبيعة أن يعهد في شخصه وفي كل ما لديه من قدرات إلى الإرادة العامة Volonté général التي تنتظم بها حياة الكل» (صليبا، 1978، صفحة 82)

ويعني هذا أن العقد الاجتماعي هو اتفاق بين أفراد المجتمع والذي يهدف إلى تأسيس المدنية على أساس الاتفاق «فالأفراد الذين يعيشون في الحالة الطبيعية حيث لا شيء يحد حريتهم وإرادتهم يتنازلون بمقتضى هذا العقد عن حريتهم الطبيعية لصالح المجموعة ويتحصلون في المقابل على حرية اجتماعية أساسها العدل والمساواة» (سعيد، 2004، صفحة 289) ويعني هذا أن العقد الاجتماعي هو اتفاق جماعي بين الأفراد من أجل الخروج من حالة

الطبيعة والتي كان فيها الناس يتمتعون بالحرية إلى الوضع المدني، يقتضي هذا العقد أن يتنازل الأفراد بإرادتهم عن بعض حقوقهم لأجل الصالح العام، أي التنازل من أجل الحصول على الأمن والاستقرار الاجتماعي.

2. فلاسفة العقد الاجتماعي:

<u>توماس هوبز*:</u>

لقد كانت فلسفة هوبز نتيجة معايشته للحرب الأهلية في إنجلترا، لذلك فهو يرى أنه لابد للأفراد أن يتنازلوا إلى من يفصل بين المتخاصمين وكذلك الجمع بينهم عند وجود عدوان خارجي (مصباح، 2011، صفحة 41)، ويعني ذلك أن فكرة الاجتماع لدى هوبز قد استوحاها من الظروف التي عايشها، وما يمكن ملاحظته أن هذه الظروف جعلت منه ينظر للأفراد نظرة سوداوية. فحسبه الجنس البشري عنيف وشرس وبالتالي فالطبيعة البشرية بهذا الشكل هي الدافع لتأسيس دولة تحقق الاستقرار داخل المجتمع يقول: «فإن كل ما ينتج عن زمن الحرب، حيث أن كل إنسان عدو لكل إنسان. وينتج أيضا أن لا شيء يمكن هنا حيث لا سلطة مشتركة ولا وجود للقانون وحيث لا قانون لا ظلم، إن القوة والغش هما في الحرب الفضيلتان الرئيسيتان» (هوبز، 2011، صفحة 136) أي أن حالة الطبيعة قد شبهها هوبز بالحرب حيث لا توجد معايير منطقية أو أخلاقية أو قانونية تحدد العلاقات الاجتماعية، فالمعيار الوحيد هو القوة التي تمكن الإنسان من حفظ بقائه، وهذه المرحلة تتميز بغياب السلطة وبالتالي حالة فوضى وصراع بين الأفراد وذلك لتساوي قدراتهم. وهنا يؤكد هوبز أن الإنسانية في حالتها الطبيعية الأولى كانت تعيش صراع عنيف أساسه القوة بين جميع الأفراد ولذلك ومن أجل الاستقرار كان من الضروري اللجوء إلى العقد الاجتماعي أي أن الأفراد اضطروا إلى التعاقد حيث اتفق الجميع على التنازل عن جزء من حريتهم من أجل المصلحة العامة. (كرم، 2018، صفحة 65) فالتعاقد لا يتحقق إلا بوجود حكومة فعالة تقوم على مراقبة تنفيذ هذا الالتزام والعهد «إن المسألة ليست مسألة وعود متبادلة حيث لا ضمانة لإنجاز أي من الطرفين عمله، كما حين لا تكون هناك سلطة مدنية قائمة فوق الأطراف التي تعد فإن هذه الوعود ليست عهودا، ولكن حيث يكون أحد الطرفين قد أنجز وعده بالفعل أو حيث توجد سلطة تلزمه بأن ينجزه» (هوبز، 2011، صفحة 136) ومعنى هذا أن التعاقد لا يكون شكليا فقط أي ليس مجرد كلمات، فالتعهد بالتنازل عن الحق الطبيعي لا يكون بالكلمات لأنه يمكن التراجع فيها لذلك لا بد أن يكون هذا العقد في إطار دولة قوية

.

* توماس هوبز: (5 أبريل 1588 – 4 ديسمبر 1679) عالم رياضيات وفيلسوف إنجليزي. اشتهر بأعماله في الفلسفة السياسية. نشره كتابه لوياثان عام 1651 والذي كان الأساس لمعظم الفلسفة السياسية الغربية من منظور نظرية العقد الاجتماعي. (جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 3، 2006، ص 708.)

جون لوك*:

لقد كانت نظرية لوك انطلاقا من رفضه لفكرة الحق الإلهي، حيث أنه يرفض أن يكون هناك أشخاص مميزون فيهم دماء ملكية وهذا يجعلهم يبررون حكمهم المستبد، فالناس حسب لوك أحرار متساوون منذ ولادتهم وبالتالي يتمتعون بكل الحقوق الطبيعية وفي نفس الوقت عليهم جميعا الخضوع لنفس القانون، يقول لوك: «لكي نفهم السلطة السياسية على الوجه الصحيح يجب علينا أن نراعي الحال التي كان عليها الناس بالفعل، وهي الحرية المطلقة في تسيير دفة أعمالهم والتصرف في ممتلكاتهم وأشخاصهم حسب ما يرونه موافقا لهم دون مطالبتهم بالتخلي عن شيء أو الاعتماد على إرادة شخص آخر» (لوك، الحكومة المدنية، د.ت، صفحة 13) وهنا نلاحظ الاختلاف بين لوك وهوبز من حيث نظرتهم للطبيعة الأولى، فهو يرى أن هذه الطبيعة تتميز بالعنف والتعطش للقوة، أما لوك فقد افترض أنها حالة حرية كاملة تمكن كل الأفراد من اتخاذ قراراتهم واستخدام ممتلكاتهم في حدود قانون الطبيعة الذي يقره العقل.

وقد أكد لوك أن هذه الحالة تقوم على مبدأ المساواة والحرية وبالتالي فإنها كانت مثالية يسودها السلام والطمأنينة، وقد عرف الجميع في ظل هذا القانون الطبيعي ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات (كرم، 2018، صفحة 164) وبالتالي فشعور الأفراد بالمحبة والتعاون واحترام ملكيات الآخر كانت نتيجة لمبدأ المساواة التي تقوم عليه الطبيعة الأولى، لكن الحفاظ على هذه الحقوق الطبيعية لم يعد ممكنا في حالة الطبيعة حيث ظهر الطمع والاستغلال والاستلاء على الملكيات، وانتشر الظلم والحسد والغيرة وتسلط الأقوياء على الضعفاء وهكذا تحولت حالة السلم إلى حرب قائمة على الخوف والكراهية، لذلك كان لابد أن يتفق الناس على عقد اجتماعي بينهم من أجل الحياة الآمنة، وتعني فكرة العقد الاجتماعي هي تعاقدا يشمل طرفين هما الشعب والحكومة، والذي ينص على التنازل عن جزء من الحقوق الطبيعية في مقابل الحفاظ على الحرية والملكية. (ابراهيم، 2000، صفحة 283)

يقول لوك: «ويبدو أن الدولة مجتمع من البشر يتشكل بهدف توفير الخيارات المدنية والحفاظ عليها وتنميتها، وأنا أعني بالخيرات المدنية الحياة والحرية والصحة وراحة الجسم بالإضافة إلى امتلاك الأشياء مثل المال والأرض» (لوك، رسالة في التسامح، 1997، صفحة 23) وهذا يعني أن الغرض من السلطة المنبثقة من العقد الاجتماعي هو الحفاظ على الحقوق الطبيعية التي كانت موجودة أصلا في حالة الطبيعة والتي أصبحت مهددة بالزوال، ونفهم من هذا أن لوك من خلال نظرية العقد الاجتماعي أعطى الكلمة العليا للشعب وفي نفس الوقت شكلا للحكومة عن طريق الفصل بين السلطات.

* جون لوك (29 أغسطس 1632 - 28 أكتوبر 1704) هو فيلسوف تجريبي ومفكر سياسي إنجليزي. ولد في عام 1632 في رنجتون في إقليم سومرست وتعلم في مدرسة وستمنستر، ثم في كلية كنيسة المسيح في جامعة أوكسفورد، حيث انتخب طالباً مدى الحياة، لكن هذا اللقب سحب منه في عام 1684 بأمر من الملك. وبسبب كراهيته لعدم التسامح البيورتياني عند اللاهوتيين في هذه الكلية، لم ينخرط في سلك رجال الدين. وبدلاً من ذلك أخذ في دراسة الطب ومارس التجريب العلمي. (جورج طرابيشي: المرجع نفسه، ص598)

جان جاك روسو*:

يعتقد روسو أن الإنسان كان يعيش في حالة الطبيعة بحرية وسعادة، حيث كان الجميع متساويين لكن ذلك لم يستمر طويلا فقد اضطروا للخروج من هذه الحالة إلى الحالة المدنية، بعد أن دفعتهم الظروف إلى ذلك، فعوامل الطبيعة القاسية جعلت الفرد يضطر إلى التعاون مع غيره تعاونا مؤقتا هدفه حفظ البقاء، ومع قسوة الحياة تحول هذا التعاون إلى وضع دائم وهنا بدأت حالة الصراع. (كرم، 2018، صفحة 224) لكن هذا الاجتماع ليس هو الحالة المدنية وذلك لانعدام القوانين فيه، وبعد ذلك تطورت الحياة الزراعية ثم الصناعية وظهر ما يُعرف بتقسيم الأراضي وهذا زاد من حدة التفاوت التي أدت إلى العداوة وظهور الطبقية حيث يتفق الأغنياء والأقوياء ويرضخ الفقراء والضعفاء وهذا يؤدي إلى ظهور الملكية التي بدورها تقود إلى التفاوت وهكذا أصبح الانسان الطيب شريرا. (كرم، 2018، صفحة 225) وهنا نلاحظ الاختلاف مع هوبز، حيث أنه يرى أن حالة الشر متأصلة في الانسان أي أنها حالته الطبيعية، أما روسو فهو يعتقد أن الشر ظهر لاحقا عند الانسان يقول روسو: «إن أول من سوّر أرضا وقال هذا لي فوجد أناسا لهم من السذاجة ما يكفي لكي يصدقوه، كان المؤسس الحقيقي للمجتمع المدني» (روسو، خطاب في أصل التفاوت، 2009، صفحة 117) وهذا يعني أن المجتمع المدني بدأ بظهور الملكية أي عند امتلاك الأراضي بعد أن كانت مشاعا للجميع وبشكل متساوي، لكن هذا تسبب في ظهور الملكية الفردية التي أدت الى التفاوت وهذا بدوره كان دافعا للحروب والمجازر، مما استدعى ضرورة وجود قوانين تضبط العلاقات بين الناس.

العقد الاجتماعي بالنسبة لروسو هو عهد والتزام بين المواطنين الغاية منه صنع مجتمع خاضع للإرادة العامة، فكل فرد عليه الامتثال لهذه الإرادة ومن يرفض ذلك يُجبر عليها، أي أن العقد الاجتماعي هو محاولة للتوفيق بين الحالة الطبيعية للإنسان والحالة المدنية التي أصبحت ضرورية للناس، وبالتالي فالعقد الاجتماعي عند روسو يتأسس على الحق الطبيعي أي الحرية والمساواة.

3. العقد الاجتماعي بين جون رولز* وسابقيه:

إن فلاسفة العقد الاجتماعي يتشاركون في نقطة أساسية وهي نشوء الدولة بحيث أنهم عملوا على وضع تصور للدولة بعيد كل البعد عن التصورات الكلاسيكية السابقة كاللاهوتية وغيرها والتي كانت سائدة لفترة طويلة من الزمن، وفي نفس الوقت يكون هذا العقد حماية للحقوق الأساسية للأفراد.

---

* جان جاك روسو: ولد في جنيف، 28 يونيو 1712 وتُوفي في إيرمينونفيل، 2 يوليو 1778 (عن عمر ناهز 66 عاماً)، هو كاتب وأديب وفيلسوف وعالم نبات جنيفي، يعد من أهم كتاب عصر التنوير، وهي فترة من التاريخ الأوروبي، امتدت من أواخر القرن السابع عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلاديين. ساعدت فلسفة روسو في تشكيل الأحداث السياسية، التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية، حيث أثرت أعماله في التعليم والأدب والسياسة. يُعتبر كتابه: العقد الاجتماعي حجر الزاوية في الفكر السياسي والاجتماعي الحديث. (جورج طرابيشي: المرجع نفسه، ص328)

* جون رولز: (1921-2002) في الولايات المتحدة الأمريكية، كان والده محاميا، درس في جامعة برينستون، وحصل على شهادة الدكتوراه في فلسفة الأخلاق، وعمل أستاذا للفلسفة في جامعة هارفرد واكسفورد وبرينستون وكورنيل. وضع نظريته عن العدالة في كتابه الشهير نظرية في العدالة (1971) والتي تعد أهم الأعمال السياسية في القرن العشرين. (علي عبود المحمداوي: الفلسفة السياسية، دار الروافد الثقافية، بيروت، ط 1، 2015، ص 176)

يمكن القول أن رولز يبحث من خلال نظريته عن عقد تقبل بمبادئه كائنات أخلاقية حرة وهذا يعني ضبط مبادئ للعدالة انطلاقا من حالة تتوفر فيها المساواة التامة وتكون منصفة للجميع.

عند العودة إلى فلاسفة العقد السابقين نجد هوبز كان يهدف من خلال عقده إلى تأسيس سلطة مطلقة للحاكم وهذا نتيجة حالة الصراع والخلاف التي كانت منتشرة في الحالة الطبيعية، فالرغبة في الخروج من هذه الحالة يكون بتأسيس سلطة يتنازل فيها معظم الأفراد عن حقوقهم من أجل العيش بسلام وبالتالي فهدف وجود هذه السلطة هو حماية الأفراد من بعضهم البعض دون اهتمام بالحقوق والحريات.

أما لوك فإنه يؤسس فكرة العقد الاجتماعي على وجود حقوق طبيعية للأفراد حيث أن وظيفة العقد هي حماية هذه الحقوق ولذلك فإنه يضع قيودا على هذه السلطة التي أنتجها العقد، وذلك يعني أن هدفه هو حماية الحقوق الطبيعية من الانتهاك. كذلك لوك يتحدث عن التنازل الطوعي عن الحقوق في سبيل تحقيق الحماية لكن هذا التنازل مشروط فالأفراد يتنازلون عن جزء من حقوقهم ويحتفظون بحقوق أساسية كالحياة والحرية.

لكن رولز يخالف لوك في هذا فالعقد عنده هدفه تأسيس العدالة بعيدا عن أي رغبات تعبر عن معطى طبيعي لأن هذا سيؤدي إلى الاختلاف، كذلك نجد أن التمايز بينهما في دور الدولة حيث أن لوك يرى أن تدخل الدولة يكون ضيقا جدا وعند الضرورة وذلك حتى لا يكون هناك مساس بحقوق الأفراد وحرياتهم، أما رولز فيرى عكس ذلك أي أن تدخل الدولة أمر ضروري جدا وذلك من أجل ضمان تمتع الجميع بالحقوق والحريات فهي الضمان الوحيد لذلك. (ساندل، 2009، صفحة 203)

أما روسو فلديه نظرة مختلفة عن العقد فهو يركز على فكرة الإرادة العامة التي تتحكم بالمجتمع، ولذلك فالعقد الاجتماعي عنده يعني تنازل الأفراد لصالح هذه الإرادة، وهذه الأخيرة دورها حفظ حريات الأفراد بشكل متساوي، فالحرية هي نقطة مركزية في العقد الاجتماعي عند روسو. (روسو، العقد الاجتماعي، 1995، صفحة 93) أي أنه يؤكد على أهمية الحرية والمساواة أي المساواة في الحريات فهو يريد إقامة مجتمع على أساس الحرية، لذلك فالمساواة عنده هي تعميم للحرية، ودائما هناك محاولات لعرقلة هذه المساواة لذلك فالتشريع الناتج عن الإرادة العامة هو القادر على الحفاظ على هذين الأساسين. وهذه الأفكار الموجودة عند روسو تأثر بها رولز خاصة ما يتعلق بتحقيق التوازن بين الحرية والمساواة من خلال تشريع مبادئ تحكم المجتمع وهدفها تحقيق العدالة.

وقد عبر رولز عن اختلافه مع مفكري العقد الاجتماعي وذلك في نقطة أساسية وهي أن السابقين له ينظرون إلى العقد أنه بناء مجتمع معين أو شكل محدد للحكومة، أما العقد عند رولز فهدفه الأساسي هو تأسيس مبادئ للعدالة تعبر بشكل واضح عن العدالة كإنصاف، كما أن رولز يبين بأن عقده ليس هدفه فقط منح الشرعية للدولة بل إنه يمتد لمجالات أخرى تتمثل بتحقيق العدالة مع الحفاظ على الحريات الفردية (رولز، نظرية العدالة، 2011، صفحة 38).

كذلك يختلف رولز مع فلاسفة العقد في أن حالة الطبيعة التي هي مرجع العقد تحتوي على تفاوت في القدرات بين الأفراد وهذا بدوره لا يتوفر على شروط الانصاف، وهناك نقطة أخرى فيها بعض الاختلاف وهي أن عقد رولز ليس منحصرا في أمور الدولة الداخلية فقط بل إنه يمتد إلى الدول الأخرى أي يشمل القانون الدولي وهذا ما سماه بقانون الشعوب (رولز، قانون الشعوب، 2007، صفحة 48) ويعني هذا أن رولز حاول أن يعمم العقد الاجتماعي وما يرتبط به من فكرة حجاب الجهل والوضع الأصلي والمبادئ التي تنتج عن الاتفاق بين الشعوب والقانون الذي سيحكم علاقات الدول وفق المبادئ يُتفق عليها.

4. فكرة العقد من كانط إلى رولز:

إن رولز يؤكد أن فكرته عن العقد استمدها من فلسفة كانط فهو يتحدث دائما عن اهتمامه بالفلسفة النقدية، فما جاء في نظريته هو تأويل لمفاهيم كانطية: «يمكننا اعتبار الوضعية الأصلية التأويل الاجرائي للمفهوم الكانطي للاستقلالية وللأمر القطعي في إطار نظرية إمبريقية» (رولز، نظرية العدالة، 2011، صفحة 293) ويعني هذا أن الوضعية الأصلية بالنسبة لرولز هي ترجمة لما جاء به كانط من مفاهيم مثل الاستقلالية وذلك ضمن نظريته الأخلاقية. وما يمكن ملاحظته أن فكرة العقد عند كانط مختلفة عن التصورات السابقة، حيث أنه ينظر إلى العقد من حيث هو العقل العملي أي باعتباره أمرا قانونيا ويستند فيه إلى الملكة العقلية المتعالية. (ركح، 2019، صفحة 167)

إن نشأة القانون حسب رولز قد نشأت نتيجة حالة الخوف والعنف السائد داخل المجتمع لكن الخروج من هذه الحالة ليس بهدف السلم والأمن كما هو الحال في النظرية الكلاسيكية بل الهدف هو البحث عن شروط تشكيل الحريات الفردية بحسب كانط، وبالتالي فإن القانون عنده ليس مستمدا من الحالة الطبيعية بل في الأمر القانوني ذاته أو ما يحقق مبدأ الحرية المتساوية للجميع وهذا أساس العقد الاجتماعي عنده (ركح، 2019، صفحة 167) وبالتالي فإن أساس العقد عند كانط ليس القانون الطبيعي بل العقل، وهنا نلاحظ أنه قد سبق رولز في محاولته تخليص العقد الاجتماعي من الخلفية الميتافيزيقية الموجودة عند فلاسفة العقد السابقين.

إن المبادئ التي يتم اختياراها تحت حجب الجهل يمكن مقارنتها بالأوامر القطعية كما هي معروضة في نظرية كانط «إن مبادئ العدالة مشابهة للأوامر القطعية بالمعنى الكانطي، فما يقصده كانط من وراء الأمر القطعي هو مبدأ سلوك يطبق على شخص بالنظر إلى طبيعته ككائن عاقل وحر ومساو مع الآخرين، ولا تفترض صلاحية المبدأ أن يكون وراء الفعل غاية أو هدف خاص» (رولز، نظرية العدالة، 2011، صفحة 289) وهذا يعني أن المبادئ بالنسبة لكانط هي أوامر قطعية لا يمكن تجاوزها، أي أنها تُطبق على كل الأفراد دون استثناء، على اعتبار أنهم كائنات عاقلة وحرة، فكل هذه المبادئ أساسها عقلي ومن يخضع لها هو العقل ذاته، إضافة إلى أن هذه المبادئ بعيدة تماما عن كل غاية أو أي هدف، أي أن الأفراد في وضعهم لهذه المبادئ هم لا يبتغون أي غاية أو منفعة وهذا مطابق لما جاء به كانط في فلسفته الأخلاقية.

كما انطلق رولز في فكرة العقد الاجتماعي من أساس مهم في الفلسفة الكانطية على اعتبار أن العقد يكون بين مجموعة من الأفراد تجمع بينهم شروط معينه، فقد تحدث كانط عن فكرة الوضع الأصلي من أجل الحديث عن عدالة القانون، وبالتالي حتى تكون القوانين مقبولة عند جميع الأفراد لا بد أن تنطلق من وضع أصلي. (لطيف، 2015، صفحة 167) أي أن رولز أخذ النظرية الكانطية التي كانت تعتبر فكرة العقد عقلية محضة وبالتالي فإن العقد لم يحدث تاريخيا، وبالتالي فرولز استلهم فكرة الوضع الافتراضي للعقد وذلك من أجل وضع مبادئ للعدالة الاجتماعية مع اختلاف بسيط هو أن الفكرة عند رولز كانت أكثر اتساعا ولها طموح أكبر.

ثانيا: الاجراء التعاقدي لنظرية العدالة:

بحسب فرضية العقد الاجتماعي فإن الناس كانوا يعيشون حالة المساواة التامة، لذلك فإن رولز في حديثه عن العدالة ركز على فكرة الانصاف لأنها كانت المعبرة بشكل أفضل عن الوضع السائد عندها، لذلك تأسيس العدالة عند رولز كان قائما أساسا على الوضع الأصلي، فقد عمل على التوفيق بين العدالة والمساواة وذلك عن طريق وضع مبادئ للعدالة تضمن الحد الأقصى من اللامساواة الحتمية وعمل على تجسيد ذلك عن طريق نموذجه التعاقدي والذي استمده من المساواة الكائنة في الوضع الأصلي، وهنا نصل إلى نتيجة وهي أن فكرة الانصاف التي يهدف إليها من خلال العدالة هي الخيار الأفضل، فهي تتناسب مع الوضع الأصلي «فالوضعية الأصلية نفسها الضامنة للإنصاف تقوم على تصور ضمني ومفهوم فلسفي معين للإنصاف سيكون حاسما في بلورة مبدأي العدالة» (Rawls, 1971, pp. 196-215) وهذا يعني أن تأسيس العدالة بنسبة لرولز يكون عن طريق الاعتماد على فكرة الوضع الأصلي، ففكرة الانصاف التي كان يحاول تجسيدها هي الوضع الملائم لذلك، وقد تبين ذلك بوضوح عند صياغته لمبدأي العدالة...

1. أسس العقد الاجتماعي عند رولز:

يؤكد رولز أنه بالإمكان تحقيق مجتمع سياسي ونظام سياسي وعادل لمواطنين أحرار ومتساويين، رغم أن الواقع يبين أن ما هو واقعي أن المجتمعات تتكون من أفراد وجماعات مختلفين من حيث العقائد الدينية والانتماءات السياسية والأفكار الفلسفية ... لذلك فإن الهدف هو الوصول إلى وضع مبادئ وقوانين تكون شرعية بالنسبة لكل الأطراف أي أن تكون هذه المبادئ عقلية حتى تكون أساسا للاتفاق ومقبولة من طرف الجميع وهنا يظهر دور العقد الاجتماعي بوصفه أساسا للاتفاق.

يربط رولز فكرة العدالة بنظريات العقد الاجتماعي وذلك لأنه أراد أن تكون المبادئ التي تؤسس للعدالة اتفاقية بين جميع الأفراد أي أن هؤلاء الأفراد هم الذين يقررون المبادئ العامة للعدالة. (ساندل، 2009، صفحة 185) وهذه المبادئ تكون محل اتفاق بين الجميع مثل ما جاء في فكرة العقد.

The original situation as a basis for justice in the thought of John Rawls

إن تحقق فكرة العقد الاجتماعي وتأسيس مبادئ العدالة يحتاج توفر شيء آخر لذلك وهو حجاب الجهل الذي يعني كون المجتمع في الوضع الأصلي المناسب وهذه الطريقة يمكن أن تضمن أن تكون الاتفاقات المتوصل إليها منصفة وهذا ما كان يقصده رولز عندما تحدث عن العدالة إنصاف وبالتالي فإن مهمة الأفراد هي وضع تصور للعدالة يقوم على مبادئ عقلية تكون مقبولة لدى الجميع. (رولز، نظرية العدالة، 2011، صفحة 46) فلو كان الافتراض قائما على اجتماع الأفراد وهم على وضعهم الحالي أي دون حجاب الجهل من أجل تحديد مبادئ العدالة سيكون ذلك صعبا جدا لأن المصالح والمعتقدات ستكون عائقا أمام ذلك أي أن الأوضاع الاجتماعية والخلفيات والاختلافات ستمنع الوصول إلى عقد منصف. فالأشخاص الذين يتعاقدون من أجل وضع مبادئ العدالة أن يكونوا جاهلين للأوضاع المختلفة وفي نفس الوقت يتميزون بالحكمة والعقلانية، (بومدين، 2009، صفحة 144) وبالتالي هذا الجهل سيترتب عنه نتائج في خياراتهم للعدالة بمعنى سيقرر الأفراد في الوضع الأصلي وتحت حجاب الجهل الاتفاق على نقاط معينة تكون عادلة لكل فرد.

2. تبرير العقد الاجتماعي:

لقد كان مشروع رولز التعاقدي مواصلة للمشروع القبلي من خلال اعتماده على مفهوم الوضع البدئي والذي يتشابه في مضمونه مع الحالة الطبيعية عند فلاسفة العقد الاجتماعي، لكن يخالف رولز هؤلاء من حيث الغاية، فإن كانت غاية فلاسفة العقد الاجتماعي تأسيس مجتمع سياسي فإن هدف رولز من هذا هو تأسيس مبادئ العدالة. يحاول رولز أن يبين لنا أن هناك تصنيفا للخيرات حيث أن بعضها أعلى درجة من بعض وبالتالي لا يمكن التضحية بها من أجل خيرات أخرى مثلا نجد المساواة في الحرية أهم من المساواة في حظوظ أخرى مثل الثروة، وفي نفس الوقت النظر إلى فكرة التفاوت يكون على نفس المستوى أي يكون هذا الأخير مقبولا إذا استخدمه من هم أقل حظا داخل المجتمع وهذا ما يعنيه رولز في حديثه عن فكرة الأولوية والذي حسب رأيه لا يتعارض مع العدالة. كما يؤكد رولز على ضرورة الحفاظ على الحريات الأساسية ولا يقبل أبدا التنازل عليها من أجل تحقيق أي منافع مثل ما يحدث مع بعض الدول التي تقوم بمقايضة الحرية بالأمن سواء السياسي أو حتى الغذائي، وحسب رولز هذا استغلال للأفراد وحرمانهم من حريتهم مقابل تبريرات غايتها الاستغلال لا أكثر وبالتالي فإن الحرية عند رولز مبدأ أولي لا يمكن التضحية به تحت أي ظرف ولأي سبب كان.

3. العقد اختيار عقلاني:

إن ما يميز فكرة العقد هو التأكيد على الطابع الإرادي والذي لا نجده في التصورات السياسية الأخرى، فإرادة الأفراد تدخل في وضع القوانين وتنظيم المؤسسات وغيرها، رغم أن الواقع يبين أن الأفراد ومنذ ولادتهم يكونون خاضعين لأنظمة وقوانين أقوى منهم ولكن مع ذلك فإن فكرة العقد تبقى تحافظ على دورها ومكانتها وذلك لأنها تمنح الحرية للأفراد في اختيار الطرق التي يرونها مناسبة في التسيير وبإرادتهم التامة، وهذا التصور الارادي

(القبول والرضا) يمكن القول بأنه موجود بوضوح في المذهب الليبيرالي وهو استعارة عن تأسيس العقد (Rawls, 1971, p. 85) أي أنه تجسيد واقعي للخروج من السيطرة والخضوع إلى الإرادة والمسؤولية.

ثالثا: الوضع الأصلي عند رولز:

إن اعتماد رولز على فكرة الوضع الأصلي راجع إلى أهمية هذا الوضع من خلال إحاطته بكل جوانب الطبيعة البشرية لذلك فتأسيس العدالة كان مراعيا لهذا الجانب وهو ما دفع رولز إلى الاعتماد على فكرة الوضع الأصلي حيث كان الجميع يمتاز بالنزاهة والحياد إضافة إلى التحرر من كافة القيود.

كذلك تحدث رولز على الوضع الأصلي كان الهدف منه هو التأسيس المنطقي للعدالة لأن افتراض الأفراد بحالتهم الطبيعية سيكون في ذلك إلغاء للبعد الأناني الموجود لدى الأفراد، وهذا سيساعد على وضع أسس مناسبة للوضع الإنساني وللعدالة من جهة أخرى.

لقد أضاف رولز فكرة أخرى وهي أن الوضع الأصلي لا يعني الوضع المثالي أي أنه لا يعبر عن الحالة المثلى للحياة الإنسانية ولذلك كان لابد من البحث عن الحال الأفضل وذلك عن طريق وضع مبادئ تحقق العدالة داخل المجتمع، لأن الحياة المثلى بالنسبة لرولز هي الحياة التي تراعى فيها شروط العدالة.

1. الوضع الأصلي كمنهج اجرائي:

لقد اتخذ رولز من العقد الاجتماعي وسيلة من أجل اختيار المبادئ المناسبة لتأسيس العدالة لذلك فإن هذا الأخير يكون وفق منهج حدده رولز في إجراء الوضعية الأصلية.

إن فكرة الوضعية الأصلية تُعد حجر الأساس بالنسبة لنظرية العدالة عند رولز، حيث أن اعتماد رولز على هذه الفكرة جعله ينفذ من نقد خصومه، فقد كانت هذه الفكرة طوق النجاة التي لم تسمح لنظرية رولز من الوقوع في المساواة المطلقة ويرفعها إلى مستوى التصورات السياسية الليبيرالية. (Ricoeur, 1995, p. 101)

لقد حدد رولز أهمية الوضعية الأصلية في أنها تعتمد على الاختيار الحر لمبادئ العدالة وتنتزع من جهة أخرى عن نظرية العدالة كإنصاف الصفة الإجرائية «فكرة الوضعية الأصلية هي إرساء منصف بشكل يجعل جميع المبادئ التي يتم الاتفاق عليها عادلة» (Rawls, 1971, p. 168) ويعني هذا أن فكرة الوضعية الأصلية تمنح امتيازا مهما وهو أن المبادئ المتفق عليها بين الأفراد تكون على أساس منصف وبالتالي عادلة. وبالتالي فإن الوضعية الأصلية هي إعادة تأويل قدمه رولز لنظرية العقد الاجتماعي الكلاسيكية كما وردت عند فلاسفة العقد الاجتماعي وتناولهم للحالة الطبيعية «تشبه وضعية المساواة الأصلية في نظرية العقد الاجتماعي الكلاسيكية» (Rawls, 1971, p. 38) وهنا تأكيد من رولز على التقارب الموجود بين ما قدمه في فكرته عن طبيعة الوضع الأصلي وما ورد في نظريات العقد الاجتماعي عند من سبقه من الفلاسفة. إضافة إلى هذا فإن تصور رولز عن الوضعية الأصلية لا يمثل واقعا حقيقيا

بل هي مجرد تصور أو فرض قدمه ليصف الوضع الاتفاقي بين الأفراد وهذا يعني أن افتراض الوضع الأصلي كان وسيلة أو منهج من أجل تأسيس القوانين المنظمة للمجتمع وبعبارة أخرى وضع مبادئ للعدالة.

2. الوضع الأصلي وضعان:

الوضع الأول وفكرة حجاب الجهل:

ويعتبر هذا النموذج الأول الذي وضعه رولز لفكرته حول الوضع الأصلي، حيث أنه يحاول تطبيق هذا النموذج من خلال المجتمعات الليبيرالية أي تحقيق مبادئ العدالة ضمن هذه المجتمعات وذلك من خلال ستار الجهل.

لقد ربط رولز مفهوم العقد الاجتماعي أو الوضع الأصلي بفكرة أخرى تكملها وهي حجاب الجهل حيث أنه حاول أن يُسقط هذه الأفكار على المجتمعات الليبيرالية «الوضع الأصلي فيما أسميه الاستخدام الأول لهذا الوضع الأصلي يعطينا نموذجا لما نعتبره أوضاعا معقولة ومنصفة للأطراف» (رولز، قانون الشعوب، 2007، صفحة 48) ويعني هذا أن الوضع الأصلي الذي انطلق منه رولز كان يهدف من خلاله إلى تجسيد نموذج للعدالة يكون قائما أساسا على الإنصاف وهذا لا يتحقق فعلا إلا إذا اقترن بعنصر ضروري جدا وهو العقل أي الأوضاع التي يتحدث عنها بدء من الوضع الأصلي إلى عدالة الإنصاف قائمة على جوهر العقلانية وبالتالي فإن الأفراد الذين يحاول رولز بناء صرح عدالة بهم هم مواطنين عقلانيين أو معقولين ومتساويين وأحرار. وكل ما سبق لا يمكن أن ينجح إلا بتوفر ما سماه ستار الجهل أي الوضع الذي تختفي فيه كل الصفات العرضية وكل المصالح الشخصية التي يمكن أن تحدث التفرقة بين المواطنين، لأن قيام ستار الجهل حتى يكون دوره فعالا لا بد من وجود أفراد عقلانيين، أحرار ومتساوين قادرين على اتخاذ القرارات والخيارات الصحيحة «ستار الجهل يمنع الأفراد من الاستناد إلى أسباب غير صحيحة إذا راعينا هدف تمثيل المواطنين على أنهم أحرار ومتساوين» (رولز، قانون الشعوب، 2007، صفحة 48).

إذن إن ستار الجهل هو وسيلة مهمة وضرورية في وضع الأسس الصحيحة للعدالة داخل المجتمع.

كما يرى رولز أنه لا يمكن انكار التعدد الموجود داخل المجتمع فهو حقيقة ثابتة، لكن لا بد أن تكون هذه التعددية معقولة أي قابلة للتفاهم والاتفاق حول المبادئ الواحدة للعدالة وبالتالي لا بأس بوجود مذاهب متعددة ومتعارضة لكن معقولة. إذن فإن وضع المذاهب خلف ستار الجهل يمكننا من وضع تصور سياسي للعدالة يكون محل اتفاق من الجميع وفي نفس الوقت يكون لدينا مجتمع يتميز بالتعددية السياسية.

الوضع الثاني: نموذج الشعوب

وفي هذا النموذج يحاول رولز توسيع مفهوم الوضع الأصلي إلى كافة الشعوب وهنا نلاحظ وجود مستوى ثان من الوضع الأصلي، وهنا على الممثلين العقلانيين للشعوب الليبيرالية أن يضعوا قانونا للشعوب (رولز، قانون الشعوب، 2007، صفحة 51) في هذا النموذج على نفس منهج النموذج الأول حيث كان يُنظر إلى الأفراد أنهم عقلانيون، فالنموذج الثاني ينظر إلى الشعوب على أنهم شعوب عقلانية «يُنظر إلى الشعوب على أنها شعوب

عقلانية لأن الأطراف تختار المبادئ المتاحة لقانون الشعوب مسترشدة بالمصالح الأساسية لمجتمعات ديمقراطية، وهي المصالح التي تعبر عنها المبادئ الليبيرالية للعدالة في مجتمع ديمقراطي» (رولز، قانون الشعوب، 2007، صفحة 51) وهذا يعني أن ما يخضع له الأفراد مستمد من قوانين عقلية عامة وهذه القوانين أساسها المجتمعات الليبيرالية لأن هذه الأخيرة تمتاز بالديمقراطية. بعد ذلك تخضع هذه الشعوب بدورها إلى ستار الجهل والذي يتم تحديده حسب الحالة الخاصة لكل مجتمع أي يتم وضع أسسه وفق خصائص المجتمع المراد اخضاعه وليس وفق بقية المجتمعات أو الشعوب، ويؤكد رولز أن استخدام ستار الجهل يعني بالضرورة جهل كل الأحوال الداخلية للمجتمعات، والشرط الأساسي هو أن هذه الشعوب ترى نفسها حرة ومتساوية حتى وبهذه الطريقة يمكن أن نحقق الوضع الأصلي باعتباره حالة ثانية أو نموذج أوسع (بين الشعوب) كما تم تحقيقه كنموذج أول (بين الأفراد).

إذن في الحالة الأولى أو الوضع الأول كنا ننظر إلى حالة الأفراد أنهم أحرار ومتساوين ولذلك فهم يملكون القدرة الأخلاقية على تحديد تصورهم الخاص للخير، وفي المقابل أي الوضع الثاني نجد نفس الشيء فقط بشكل أوسع أي على مستوى الشعوب حيث ينظر الممثلون إلى شعوبهم أنهم شعوب حرة ومتساوية وفق التصور السياسي في المجتمع.

3. إجراء حجاب الجهل:

يعتبر رولز حجاب الجهل أداة تمثيل (رولز، العدالة كإنصاف، 2009، صفحة 215) وهو يعني وضع الأفراد المتعاقدين في مساواة أولى من أجل وضع حد لكل الفروقات الشخصية والتي قد تؤدي إلى صياغات مختلفة لمبادئ العدالة، أي أن تكون هذه الأخيرة وفق مصالح أشخاص دون آخرين لأن رولز يهدف إلى مبادئ تكون محققة للإنصاف «يجب علينا بطريقة أو بأخرى الحد من الأعراض الخاصة التي تضع الناس في تعارض بعضهم مع بعض وتلهمهم إلى الميل إلى استغلال الظروف الاجتماعية والطبيعية لمصلحتهم الشخصية لذلك اقترح أن يوضع المتشاركون وراء حجاب الجهل» (Rawls, 1971, p. 168) ويعني هذا أن حجاب الجهل هو الوسيلة التي يمكن الاعتماد عليها من أجل التخلص من أي فروقات التي قد تؤدي إلى التعارض بين الأفراد والتي ستكون عائقا أمام تجسيد مبادئ العدالة بالمعنى الصحيح. ومنه يمكن القول أن فكرة حجاب الجهل إجراء إيجابي لأنه يضمن المساواة بين المتعاقدين في الوضعية الأصلية لأنه يضع حد للجانب الغريزي المحرك للسلوك الإنساني.

إذن فحجاب الجهل إجراء يمثل المعرفة النسبية التي يملكها الأفراد ويدخلون بها الوضع الأصلي ويتم على أساسها اختيار المبادئ التي تنظم المجتمع الديمقراطي، أي بناء موقف حيادي يتم من خلاله بناء قواعد مشتركة لتنظيم الحياة الجماعية. (Rawls, 1971, pp. 168-169)

إن الجهل بهذه الخلفيات هو ما يسمح ببناء أسس واحدة للعادة إلى درجة أن هذه المسألة تطرح أيضا بين الأجيال مثل قضايا توفير الموارد والثورات الطبيعية وذلك لأن الخاضعين لحجاب الجهل يجهلون حتى الجيل الذي ينتمون

إليه وهذا يساعد على تحقيق هذا الشرط. ومنه فإن حجاب الجهل غايته هي إزالة كل المعلومات التي من شأنها أن تسبب التفرقة وتمنع من بناء العدالة في ظل الوضع الأصلي.

4. الحالة الأصلية هي اللاطبقية:

إن الوضع الأصلي Original Positionهو الحالة الابتدائية المناسبة وبالتالي تكون الاتفاقات الناتجة عنه منصفة، لكن رولز هنا لا يقصد بالوضع الأصلي وضع المجتمع في بداية التاريخ بل هو حالة جديدة تغيب فيها الفروقات الطبقية وهذا الغياب ينتج عنه مبادئ للعدالة، فهذا الوضع حسب رولز هو الأنسب من أجل بناء اتفاقات منصفة وعادلة. (Rawls, 1971, p. 12) فالعدالة عند رولز تهدف من خلال فرض الوضع اللاطبقي إلى إقامة مبادئ ثابتة متفق عليها في ظل مجتمع منقسم طبقيا، أي أن العدالة من وجهة نظر رولز تفرض الوضع اللاطبقي ونحاول الحفاظ على مبادئ العدالة في ظل وجود مجتمع طبقي أصلا. إذن فتحقيق الهدف الأسمى وهو مبادئ العدالة لا بد من افتراض الوضع الأصلي (نظريا) ويعني التخلي عن كل ما يؤدي إلى التفرقة والطبقية داخل المجتمع «من بين المعالم الأساسية لهذا الوضع "الأصلي" أن لا أحد يعرف مكانة في المجتمع أو وضعه الطبقي أو مرتبته الاجتماعية، كما لا أحد يعرف نصيبه في توزيع الأصول والقدرات الطبيعية أو ذكاءه أو قوته» (Rawls, 1971, p. 12) وهذا يعني أن مبادئ العدالة تؤسس في إطار جهل المواطنين كل الأمور التي يمكن أن تكون سببا في تفريقهم أو عدم اتفاقهم على مفهوم واحد للعدالة.

إن رولز يصر دائما على أن الوضع الأصلي بحمل الطابع اللاطبقي أي أن الأفراد لديهم من الخصائص ما تجعلهم قادرين على تجسيد مبادئ العدالة دون أي تشويش كالأطماع المتبادلة التي تنتج عنها الاستغلال الطبقي أو هيمنة طبقة على أخرى وذلك لأن هؤلاء الأفراد أو الجماعات لديهم نزعة عقلانية وهذا ما يؤدي إلى الحياد التام تجاه بعضهم البعض. (Rawls, 1971, p. 13)

5. صبغة الأفراد في الوضع الأصلي:

إن العقد حسب رولز يجمع الأفراد في الوضعية الأصلية بغض النظر عن المكان والزمان ولهؤلاء الأفراد، فهؤلاء الذين يتحدث عنهم رولز ويشملهم الوضع الأصلي يمتازون بأنهم أحرار وأيضا متساويين، يعتبر رولز الأشخاص أو كما يسميهم المواطنين منخرطون في تعاون اجتماعي تجمعهم قوى وهي قوة حس العدالة والقدرة على تحصيل مفهوم الخير.

إن تركيز رولز على الجانب الأخلاقي لا يعني أنه تناول فكرة الإنصاف من الباب الأخلاقي بل إن فكرة العدالة كإنصاف هي مفهوم سياسي أي أنه موجه لتنظيم مؤسسات المجتمع السياسية، أي أنه لا يهدف إلى وضع عقيدة أخلاقية، فالحديث عن الأفراد في فكرة العدالة كان على اعتبار أنهم مواطنون أي تناولهم من الناحية السياسية. (رولز، العدالة كإنصاف، 2009، صفحة 113) ومع ذلك ففكرة المساواة بالنسبة لرولز هي شيء بديهي لدى الأشخاص بما أنهم يملكون القوة الأخلاقية اللازمة والتي تمكنهم من الانخراط داخل المجتمع. والمساواة التي يتحدث عن رولز

تتوفر وبشكل واضح في الوضع الأصلي لأن الأفراد فيه يتمتعون بحقوق متساوية، ففكرة المساواة داخل المجتمع تعني التركيز على الجانب السياسي وذلك لأن الواقع يبين أن هناك مجتمع سياسي، وهناك التجمعات التي تكون ضمنه وهي ما سماه رولز بالمتحدات، فالمجتمع الذي يطمح له رولز والذي يتأسس من أفراد متساويين لا يجب أن تكون فكرة المتحدات عائقا لتحقيق الهدف الأعلى وهو العدالة «فالمجتمع السياسي الديمقراطي الوارد في العدالة كإنصاف لا وجود لمثل هذه القيم المشتركة والغايات منفكة عن تلك التي تقع تحت عنوان المفهوم السياسي للعدالة» (رولز، العدالة كإنصاف، 2009، صفحة 113) ويعني أن الأفراد المنخرطين في هذا المجتمع السياسي يخضعون كافة وبشكل متساو للقانون والدستور وذلك من خلال خضوعهم لمؤسسات الدولة التي بدورها تعمل على تحقيق العدالة، وهذه الغاية مشتركة بين الأفراد أي تحقيق العدالة لبعضهم البعض.

إن الفرد حسب رولز يكون جزء من طرفين الأول هو المجتمع والثاني هذه المتحدات، فالفرد يولد وهو منتمي لهذين الطرفين في نفس الوقت مثال: يولد الطفل داخل الدولة وفي نفس الوقت ينتمي إلى جماعة دينية معينة، لكن الخضوع لا يكون إلا لطرف واحد وهو القوانين السياسية والتي تعامل الأفراد بالتساوي أي كمواطنين بغض النظر عن الانتماء لهذه المتحدات، فالسلطة السياسية باسم القانون وحدها من تملك الحق في فرض نفسها على الأفراد «والذين يمكنهم أن يكونوا أعضاء متعاونين تعاونا كاملا في المجتمع السياسي يُحسبون متساويين كلهم ولا تختلف معاملتهم إلا بالمقدار الذي يسمح به مفهوم العدالة السياسي العام» (رولز، العدالة كإنصاف، 2009، صفحة 115) لذلك فالتحقيق الفعلي للعدالة بين الأفراد يكون بتجاهل هذه الانتماءات الجزئية والتعامل معهم كأفراد متساويين أمام القانون، وحسب رولز فإن الخطأ الذي يمكن ملاحظته داخل المجتمعات سببه عدم التمييز بين فكرة المجتمع السياسي وفكرة المتحد.

أما فكرة الحرية فتعني أن المواطنين أحرار أي يتصورون أنفسهم يملكون القوة الأخلاقية التي تمكنهم من تكوين مفهوم الخير. لكن هذا الرأي لا يعني أنهم قد ارتبطوا ارتباطا نهائيا بمفهوم واحد للخير ولا يمكن الانفصال عنه بل يعني أنهم قادرون على تأسيس مفهوم جديد للخير وذلك على أسس عقلانية، إضافة إلى اعتبارهم مواطنين أحرار فهذا يعني أنهم مستقلين عن أي مفهوم خاص للخير يكون نهائيا «واستنادا إلى قوتهم الأخلاقية القادرة على تشكيل وتنقيح مفهوم الخير والنضال العقلي في سبيله، فإن هويتهم العامة أو القانونية كأشخاص لا تتأثر بالتغيرات في مفهومهم المحدد للخير عبر الزمن» (رولز، العدالة كإنصاف، 2009، الصفحات 116-117) إذن فإن اعتبار الأفراد أحرار داخل المجتمع يعني أنهم غير مرتبطين بمفهوم خاص للخير بل إنهم وباعتبارهم أحرارا وعقلانيين يمكنهم ضبط وتحديد مفهوم الخير. وفي نفس السياق يمكن القول أن المواطنين الذين يعتبرون أنفسهم أحرارا فهم يملكون اعتقادا مفاده أنهم مؤهلين للمطالبة بالأخذ بمفهومهم عن الخير أي أن المؤسسات الممثلة للعدالة عليها أن تأخذ برأي وأفكار مواطنيها الأحرار، وهكذا ينظر المواطنون لأنفسهم في مجتمع ديمقراطي وذلك فيما يتعلق

بالعدالة السياسية، وهذا المطلب حسبهم ليس نابعا من الواجبات والالتزامات نحو المجتمع لأنه إن حدث العكس فتصبح مطالبهم لا وزن لها إلا إذا كانت تعود للمجتمع. (رولز، العدالة كإنصاف، 2009، صفحة 119) إذن الشخص المتساوي الحر مصدره التفكير الأخلاقي والسياسي، ولذلك فالشخص في القانون هو من يشترك في الحياة الاجتماعية أي يمارس الحقوق والواجبات المختلفة ومنه فالأشخاص الأحرار المتساوون هم من يؤدون أدوار متعاونة داخل المجتمع وبما يتناسب مع التصور السياسي للعدالة.

6. خاتمة:

. يُعتبر جون رولز من أهم الفلاسفة المعاصرين الذين اهتموا بفلسفة السياسية ومواضيعها المختلفة خاصة ما يتعلق بنظرية العدالة حيث حاول من خلال فلسفته التأسيس لمبادئ جديدة للعدالة.

. إن فلسفة رولز لم تكن منفصلة عن الفلسفات السابقة خاصة السياسية منها، فقد حاول أن يأخذ منها بعض الأفكار التي تساعده على بناء وتأسيس مبادئ للعدالة.

. لقد أخذ رولز من الفلسفات السابقة فكرة أساسية ومهمة وهي فكرة العقد الاجتماعي التي كان لها وزنا وقيمة كبيرة خاصة في المجال السياسي.

. نظريات العقد السابقة كانت تهدف إلى بناء مجتمع سياسي خاضع لقوانين معينة من أجل حماية الحقوق الطبيعية للإنسان والتأسيس للحياة المدنية، أما رولز فقد كان يهدف من خلال فكرة العقد بناء أسس منصفة للعدالة، كما نجد العديد من نقاط الاتفاق بين رولز وإيمانويل كانت، حيث أن كل منهما حاول التأسيس لمبادئ تكون اتفاقية بين مجموعة من الأفراد الذين يتميزون بالعقلانية والاستقلالية والإرادة الحرة.

. لقد أضاف رولز إلى فكرة العقد أساس جديد يساعد على تجسيدها وهو حجاب الجهل، أي أن تحقيق الهدف وهو تأسيس مبادئ سليمة واتفاقية ومنصفة للعدالة يكون عن طريق خضوع الأفراد لستار الجهل.

. تناول رولز فكرة الحالة الطبيعية الموجودة في نظريات العقد الكلاسيكية من خلال الوضع الأصلي، وهو الحالة التي يكون عليها الأفراد بعد خضوعهم لحجاب الجهل والتي تمكنهم من التخلص من كل الفروقات وبالتالي يتمكنون من تحديد مبادئ للعدالة تكون حيادية ومنصفة. فالأفراد الذين يخضعون لستار الجهل ويأسسون للعدالة من خلال العقد لا بد من توفر فيهم مجموعة من الشروط كالحرية والعقلانية إضافة إلى القدرة العالية من الحس الأخلاقي.

. فكرة العقد عند رولز ليست محصورة في مجتمع معين بل إنه يريد تعميمها على كل المجتمعات الإنسانية على اعتبار أنها تملك ممثلين عقلانيين وذلك من أجل تحديد ما يُعرف بقانون الشعوب.

قائمة المراجع:

Rawls, J. (1971). *A THEORY OF JUSTICE.* n the United States of America: the belknap press of harvard university press cambridge, massachusetts.

Ricoeur, P. (1995). *Le justice philosophie.* paris: Esprit.

أحمد مختار. (2008). *معجم اللغة العربية المعاصرة*. القاهرة: عالم الكتب.

أندريه لالاند. (2001). *موسوعة لالاند الفلسفية*. بيروت: منشورات عويدات.

ايمانويل كانط. (2002). *تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق*. (عبد الغفار مكاوي، المترجمون) ألمانيا: منشورات الجمل.

بوزيد بومدين. (2009). *فلسفة العدالة في عصر العولمة*. بيروت: العربية للعلوم ناشرون.

توماس هوبز. (2011). *اللفياثان*. (ديانا حرب وبشرى صعب، المترجمون) بيروت: دار الفارابي.

جان جاك روسو. (1995). *العقد الاجتماعي*. (عادل زعيتر، المترجمون) بيروت، لبنان: مؤسسة الأبحاث العربية.

جان جاك روسو. (2009). *خطاب في أصل التفاوت*. (بولس غانم، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للتجربة.

جلال الدين سعيد. (2004). *معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية*. تونس: دار الجنوب.

جميل صليبا. (1978). *المعجم الفلسفي*. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

جون رولز. (2007). *قانون الشعوب*. (محمد خليل، المترجمون) القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

جون رولز. (2007). *قانون الشعوب*. (محمد خليل، المترجمون) القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

جون رولز. (2009). *العدالة كإنصاف*. (حيدر حاج اسماعيل، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

جون رولز. (2011). *نظرية العدالة*. (ليلى الطويل، المترجمون) دمشق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.

جون لوك. (1997). *رسالة في التسامح*. (منى أبو سنة، المترجمون) الاسكندرية: المجلس الأعلى للثقافة.

جون لوك. (د.ت). *الحكومة المدنية*. (محمود شوقي الكبال، المترجمون) مصر: مطابع شركة الاعلانات الشرقية.

جيسون برينسن. (2019). *مقدمة في الفلسفة السياسية*. بيروت: مركز الوافدين للحوار.

صالح مصباح. (2011). *فلسفة الحداثة الليبيرالية من هوبز إلى كانط*. بيروت: جداول للنشر والتوزيع.

عبد العزيز ركح. (2019). *الشرعية الديمقراطية من التعاقد إلى التواصل*. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

مايكل ج ساندل. (2009). *الليبيرالية وحدود العدالة*. (محمد نهاد، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

محمد عبد الله الملاح. (2010). *تطور الأنظمة السياسية عبر العصور*. القاهرة: دار النهضة العربية.

مصطفى ابراهيم ابراهيم. (2000). *الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم*. الاسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر.

منذر الشاوي. (2013). *فلسفة الدولة*. بغداد: الذاكرة للنشر والتوزيع.

نوفل الحاج لطيف. (2015). *جدل العدالة الاجتماعية في الفكر الليبيرالي*. لبنان: جداول للنشر والترجمة والتوزيع.

يوسف كرم. (2018). *تاريخ الفلسفة الحديثة* (الإصدار 1). القاهرة: منشورات البندقية للنشر.